

فضاء المدينة في رواية بوابة الذكريات لآسيا جبار: المركز والهامش

*The space of the city in the novel Gate of Memories by Assia Jabbar
center and margin*

د. زينب لوت

المدرسة العليا للأساتذة مستغانم (الجزائر)

zineblo@yahoo.fr

تاريخ النشر: 2022/12/31

تاريخ القبول: 2022/12/14

تاريخ الإيداع: 2022/12/08

الملخص باللغة العربية:

الروائية الجزائرية (آسيا جبار) من الروائيات المهتمة بالفضاء الإنساني وعالمه وتفاصيله بدقة الخطاب والوصف، هي حالات استرجاعية لذكريات تستجمعها في رواية (بوابة الذكريات) تسرد حياة النساء قبل الفترة الاستعمارية، وتصور انتقالهن من الريف إلى المدينة والأنساق الثقافية التي تستجمعها من خال تكوين المحكي وتوالي الأحداث، تلك التحولات الفكرية والثقافية يظهر وصف المكان والظواهر السلوكية التي يدركها المتلقي من خلال الأفق المتغير وطبيعة المدينة وما تحمل من مضمرات تجمع بين فترات زمنية وتجارب إنسانية تحيل لخطابات مضمرة تنطوي على جملة ثقافية تترجم العوالم المكثفة وخلفية التفكير ونشوء المجتمع الجزائري بين محوري التقليد والتجديد عبر الزمن وتغيرات المكانية.

الكلمات المفتاحية: آسيا جبار، رواية، المدينة، الثقافة، فضاء، المركز، الهامش.

Abstract :

. The Algerian novelist (Assia Djébar) is one of the novelists interested in the human space and its world and its details with the accuracy of discourse and description. These are flashbacks to the memories that she collects in the novel (The Gate of Memories). She recounts the lives of women before the colonial period, and depicts their transition from the countryside to the city and the cultural patterns that she collects through the composition of the narrative and its succession. The events, those intellectual and cultural transformations, show the description of the place and the behavioral phenomena that the recipient perceives through the changing horizon and the nature of the city and the implications that combine time periods and human experiences that refer to implicit discourses involving a cultural phrase that translates the intense worlds and the background of thinking and the emergence of Algerian society between the axes of tradition and renewal. Through time and spatial changes.

Keywords: Assia mighty, novel, city, culture, space, center, periphery

زينب لوت/ الصفحات: من 103 إلى: 112

الملتقى الوطني (الأبعاد الفنية والدرامية لفضاء المدينة في الخطاب الروائي المعاصر) جامعة الشلف- 22-23 نوفمبر 2022م

Available online at <https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/715>

مقدمة:

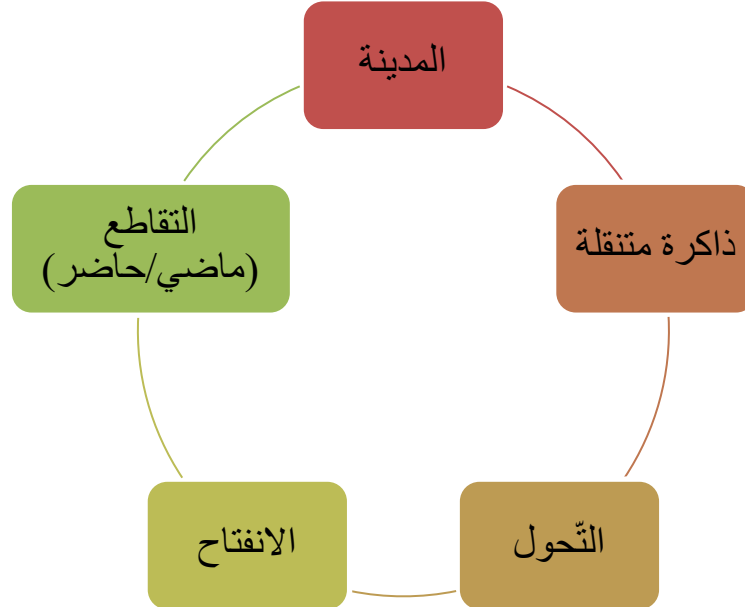
تتمحور مركزية المدينة في ازدواجية مختلفة بين الانفتاح والتجدد المستمر والتحولات المعرفية من القرية إلى فضاءها الواسع ونمط الحياة والتأقلم، كما تتسرب ثقافات الدول وتعطي مزايا التنوع وضرورة التعايش بما يضمن سيرورة الحياة والتقدم.

الروائية (آسيا جبار) (1936-2015) أول امرأة جزائرية تنتسب إلى دار المعلمين في باريس عام 1955 وأول أستاذة جامعية بعد الاستقلال في الجزائر، وانتخبت سنة 2005 عضواً في أكاديمية اللغة الفرنسية، وهي أعلى مؤسسة فرنسية تختص بتراث اللغة الفرنسية، وهي من أوائل الشخصيات من بلاد المغرب والعالم العربي تعطي هذا المنصب، لها من الأعمال الجديدة بالذكر (العطش) 1957م، (القلقون) 1958، رواية (أطفال العالم الجديد) 1962م، (نساء الجزائر في مخدعهن) 1980م، رواية (الحب والفنتازيا) 1985، (بعيدا عن المدينة) 1991، (الجزائر البيضاء) 1991م، وأعمال أخرى، كما لها منجزات في السينما والمسرح والإخراج وسعة من الفكر والثقافة ما ميزها عن غيرها من الكاتبات، تمارس (آسيا جبار) بعداً ابستمولوجيا للكتابة وأنماطاً مختلفة في تصوير الوطن تاريخياً من حيث الخصوصية الزمانية والمكانية وأثر الآخر في الفكر العربي الجزائري.

حرصت المؤلفة (آسيا جبار) في رواية (بوابة الذكريات) على روح الهوية والتفاصيل التي ترافق شخصية (فاطمة) تغلغل لغتها في وميض المعنى ومساراته، أثرت الخطاب بالوعي التاريخي المتناهي بقيم العربية ومكانتها وسط زخم اللغة الفرنسية وسيطرة مناهجها على التعليم والتعلم، ثم التحولات من الفضاء الريفي إلى المدينة منح للصورة انعكاساً بين منطق التطور والتّمدن وخلفيات القرية من أعراف وتقاليدها، ثم الانتقال إلى مدينة غربية (باريس) حيث تصبح للمشاهد مد وجزر زمني للذاكرة التي رافقت فترة استعمارية قاحلة ورافقت نجاح (فاطمة) ونمو شخصيتها.

1- فضاء المدينة في الرواية الجزائرية: المدينة هي الفضاء المتسع للانتقال في صور مختلفة العوالم متصلة بالتكنولوجيا والتطور الذي لا يقف على مستوى الآلة يقدر الفكر والتفكير، كما تتنوع المجالات المعمارية المتقدمة الصناعية والإدارية والاجتماعية "لابد من الإشارة إلى أن المدينة تمثل فضاءاً جغرافياً واجتماعياً تضم مجموعة من البنايات يسكنها عدد معتبر من البشر يشتغلون في نشاطات ذات طابع تجاري وصناعي وإداري أي تختلف عن القرية من حيث الطبيعة الاجتماعية، وكذا النوع البشري ونوعية العلاقات الإنسانية التي فهي - أي المدينة - تنزع نحو الفردانية عكس القرية حيث تغلب العلاقات ذات الطابع الجماعي والعائلي والاعتماد على الموارد الفلاحية وخدمة الأرض" وهذا التصور تجعل حلقة الانتقال من الريف إلى المدينة

تحول الذوات في النص الروائي لأسيا جبار (بوابة الذكريات) تمر بحالة من التساؤلات، المنفعلة تارة والمدققة في تفاصيل الأشياء والوقوف على منطق التغيرات التالية:



تقدم الروائية سردا تاريخيا للمنطقة الريفية التي تعرضت للاستيطان الفرنسي من جهة وذهنية القرويين الذين يحسبون رغبات المرأة واستقلاليتهما في التفكير أو التكوين المتوازن، لذلك صورت قمعها وكل الخلفيات الساذجة والمحبطة لوجودها، ثم الانتقال إلى المدينة والانفتاح على الوسط واتساعه وانفلات التحولات من اللباس والمظهر إلى عنفوان التفكير، لكن بالمقابل يصبح للماضي ترسباته في قرارات (فاطمة) الأنا التي تحاكي ذاكرتها للمتلقي وتمنحه ذروة الصراع في الرواية أين يسيطر التردد والأوهام تصرفاتها وكيئونة العلاقات المضطربة.

تيمه المدينة في السرد الجزائري تتيح للقارئ فهم الأنساق الثقافية المضمرة في الرواية وهويتها وهو الحال في كتابات الروائي "واسيني الأعرج" من خلال نص (شرفات بحر الشمال) التي تطل على الفضاء الغربي "ينفتح نص رواية شرفات بحر الشمال على وله شديد يعمق شعور الكاتب بفتنة المدينة محاولا إقحام فضاء مدن الغرب أمستردام باريس مدريد وهو فضاء عادة ما يؤثث لمخيل ينمو ويتسع مندفعاً من طبيعة الفضاء المتسم بالإغراء والامتداد ذلك أن الفضاء المديني عادة ما يتيح للكاتب ممارسة فعل الكتابة عبر مساحة النص مسهما فضاء خاص بالكتابة المنبثقة عن النظرة الشخصية للكاتب"² تعكس المدينة المزايا الحضارية ذات الطابع الأوروبي يصمم معادلات الاكتشاف والتحول بين الصراع الداخلي والخارجي يندرج جسد التعايش بتجسيد معاشة الذات لما حولها.

تندرج رواية (امرأة على قيد سراب) لمؤلفها (مصطفى بوغازي) ضمن الروايات التي تشير لواقع التحولات بين الريف والمدينة والترسبات الثقافية بين الفضائيين نجد الأسرة تحول فكرة

زينب لوت/ الصفحات: من 103 إلى 112

الملتقى الوطني (الأبعاد الفنية والدرامية لفضاء المدينة في الخطاب الروائي المعاصر) جامعة الشلف- 22-23 نوفمبر 2022م

Available online at <https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/715>

القيود والتعظيم الظاهر للمرأة وخنق رغباتها وأحلامها هي الوجد الذي تنتمي إليه أحداث الرواية ولكن المدينة تصبح بوابة التحرر لكنها تعج بالانفتاح المخيف أمام المغلق "حصار الأعراف المُلزم لسلوك كل شخصية (رواية/الخجل-العبودية المطلقة للسلطة الذكورية) (حنان/ الخوف من الآخر واستصغار الذات – الحيرة الوجودية-الرفض الاجتماعي- مرض السرطان- الخيانة (دعاء- مواسم الترسبات الثقافية- الرؤيا الدرامية- حاملة الرسالة التعبيرية) ثم يندرج التأثير من (شعبان) الجد المتسلط، (بشير) العالم بالرقى والتمائم واستدراج الزوار من أصحاب المناصب العليا والمثقفين إلى حصانة العلاج أو فك ما يعلق بهم من سحروعين ومس...أو استنطاق بعض أوائل المستقبل الخفي تلميحاً وتصريحاً.³ الانفلات من سلطة الجد وتزويج البنت (رواية) ثم سفرها للاستقرار وسط المدينة خلق اختلالاً كبيراً بين الانغلاق الصارم وفجوة تفشي الثقافة المستلبة للمدينة.

الرواية الجزائرية منحت للمدينة سلطة التغير وهيمنة الأفكار التي تحملها سلطة المدينة ذاتها بانتصار القوة على الضعف كما الحال في رواية (دم الغزال) لكاتبها (مرزاق بقطاش)، يعكس وحشية المقبرة في جنازة الرئيس (محمد بوضياف) وهم الوطن المغدور "أما نحن فنقتل اليوم وغدا وبعد غد ولا يمكن أن نوصف إلا بالوحوش، حتى الوحوش تحترم ضحاياها، إنها تتعامل معها بنبل وشرف، أمّا نحن نرميها بالرصاص في الظهر والقفا على الرغم من أنّها طعنّت في السن"⁴ لا يقف عند فقدان شنيع للشخصيات الوطنية، تصبح المدينة مكاناً تراجيدياً مؤلماً حيث يربط العالم الجنائزي بالمستشفى واصفاً "البعض منهم أطراف عيونهم متورمة بسبب عمليات التنويم المستمرة، وبعضهم الآخر يدخنون دون توقف، قال في نفسه: في الحقيقة علم الجنازات يبدأ من هذا المكان. أو ليست هذه المصحة عبارة عن مقبرة من المقابر"⁵ تكمن الآلام في جسد الإنسان عبر العلاج والعمليات الجراحية التي تحتاج للتخدير، رواية تثير مواقف الألم المتفشية في المجتمع الجزائري ضمن خريطة المدينة ولأحيائها ومعمارياتها.

2- التحولات الفكرية والثقافية من الريف إلى المدينة في رواية آسيا جبار: كتابات (آسيا جبار) واعية تنهاى في النضوج والفكر الملفت للانتباه هي تدقق في التفاصيل وتمنحها أفق التحليل التركيبي المنطقي بين الزمن والمكان "وتعدّ رواية" بوابة الذكريات " لآسيا جبار من أهمّ الكتابات النسوية الجزائرية لتوثيقها تطوّر المجتمع الجزائري في صراعه مع الحضارة الوافدة بشتى أشكالها والمثلية في ثنائية الخاضع والمسيطر والمتجلية في المقاومة حفاظاً على الموروث الاجتماعي والثقافي واللغوي كهوية أصيلة تمنع الجزائري من الانعتاق والتميّع في قوالب الاستعمار الثقافية المسيطرة"⁶ كون الكاتبة تعيش بين عالم يحمل جذورها التكوينية الأولى والمكون العلمي

زينب لوت/ الصفحات: من 103 إلى 112

الملتقى الوطني (الأبعاد الفنية والدرامية لفضاء المدينة في الخطاب الروائي المعاصر) جامعة الشلف- 22-23 نوفمبر 2022م

Available online at <https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/715>

في الغرب جعل تجسيدها للوعي ممكنا في تحديد مركزية وجودها أولا كامرأة وثانياً روائية تحمل الوطن على أفق الانتماء وبناء الرواية التي تتسع لكل تلك الترسبات الذهنية العالقة في ذاكرتها.

تتعدد الصور وبمراحل عمرية ترسمها الكاتبة بين الطفولة والشباب وعلاقتها الأسرية بين أب يمثل منظومة تعليمية أخلاقية واجتماعية محافظ على التقاليد والعادات في الريف "لا ليست صورة الأب المرشد لابنته البكر هي التي ستحسب لك (يوم الحساب) بوصفها المكسب الأساسي، بل ما هو أكبر، كونك تزوجت وفق تقليد مدينتك العتيقة أخت صديق العمر، البنات المدللة للأسرة الأكثر نبلا في المدينة التي زفت مع ذلك " نجل الفقر " أي العامل البسيط ، صحيح انك قدمت ما يشبه الصداقة - بصفتك خاطبا - معرفتك اللغة⁷ تلك المعرفة بالعربية التي منحت مكانة حيث تكون اللغة مرجعاً لقيمة الإنسان المعرب وسط المعلمين باللغة الفرنسية، ما يميزه عن باقي أقرانه.

تنتمي الأم لعائلة غنية ترعرعت في دلال وعناية من المدينة، هذه الأحداث ارتبطت في كينونة الوجود الاستعماري مخلفة اختلافا بين ذهنية المثقف في وسط ريفي ومظاهر سلوكية تظهر جليلة بعد الانتقال إلى المدينة " تعدّ رواية" بوابة الذكريات " نموذجاً قيمياً يصوّر من خلاله المجتمع الجزائري في الفترة الممتدة من ثلاثينيات القرن إلى قيام الثورة التحريرية. إذ ترصد آسيا جبار صورا تحكمها التناقضات وهي تسرد لنا بعض من ذكريات في القرية بشرشال في المدرسة والإعدادية ثم انتقالها للعاصمة مع أهلها وكيفية التحوّل التي شهدته أمها. وهي بداية مسّت بعض الأسر العاصمية التي تأقلمت مع المجتمع الأوروبي فانفتحت نحو تقليد نمط عيشه بدأ من المدرسة وتعليم البنات إلى نزح" الحايك " لدى الفتيات الشابات وخروجهن دون ذلك الغطاء الذي فرضته التقاليد والتحرّر منه ومن الحريم المطوّق لحريتهنّ وجمالهنّ ، فالرواية سيرة ذاتية تروي فيها آسيا جبار جانبا مهما من طفولتها ومراهقتها ومراحل دراستها وصولا إلى الجامعة، وفي غضون هذه المسيرة تكشف جوانب عن مجتمعين مختلفين، تصوّر من خلالها غربتها محاولة إثبات لهويتها⁸ تترجم الرواية خصوصية المظهر الثقافي والعادات السائدة في المحيط الاجتماعي وسوسيولوجيا التعايش، عبر الأحاديث وما تنقله من صور تتفاعل الأحداث من مستوى الريف المستعمر بمرجعية الآخر والذات العربية التي تحاول التأقلم والتوازي بين العقيدة والعرف ومحاولة الغرب لاجتثاث الأصول، تلك المغامرة السردية التي خاضتها الكاتبة (آسيا جبار) مع نمط الحياة في الريف والعالم الحريمي داخل الأعراس والشارع والحمام، في بناء العلاقات السلوكية بين أقفاص التقاليد وكتم أنفاس النسوة، تحاكي العقل الباطن لهنّ والعاطفة والحس المكبوت المستتر، ثمّ تسافر إلى المدينة حيث يتسع الفضاء وتحقق رغبتها وأحلامها كما تعيش

قصة حب ملفوفة بالترسبات العرفية القابعة في أفكارها، لكنها تنتهي بظهور امرأة أخرى تجدد ظهورها في باريس أين تعيد ذكرياتها وتعتك خبيتها مرة أخرى.

فضاء المدينة مليء بالتناقضات والمفارقات حيث تعج المدينة بالقادمين من الريف والمدنين بالولادة والعابرين من البلدان الأخرى العربية والغربية فتصب الثقافات وتنفعل بين المروي تشكيلاً لتلك الأحاسيس والأفكار التي تنتبني داخل النص مثل بديهة الخجل والتردد، الشوارع المتسعة القابلة لكل أشكال البشر، مع فقدان مشاعر التعاطف لأن خشونة الوقع تبدأ من معمارية المدن وهكذا تحبس المشاعر خلف الجدران المتعالية والشوارع التي تعج بالناس تفقد حسها الاجتماعي وتوثق نمط حياة تتشكل في الروايات الشاهقة بالمعاني والمكثفة بالدرامية والقسوة مثل روايات (عز الدين جلاوجي) في (العشق المقدس) وحكاية (تيهت) و(حائط المبكى) باللغة الفنانيين وأحلامهم المبحوحة خلف كل الأشياء المحبطة والمنكسرة ورواية (الجزائر البيضاء) لمؤلفتها (آسيا جبار) خريطة للمكان في المدينة والحقائق المضمرة في الخطاب "إن الممغن في المحصلة الروائية المشتغلة على الفضاء المدني في الأدب الجزائري تشده الكثير من التيمات التي ترتبط في الأساس بمعاني التسلط والقسوة التي يبدىها المكان أو الفضاء في عملية احتواءه لشخصياته، بالتالي فتسليط الضوء على الجانب الداخلي لبنية المدينة باعتبارها الإطار الذي يحتوي الشخصيات ويعمل على برمجة أفعالها وحركاتها في نطاقه وهي إشارة فنية مهيمنة في الخطاب السردى"⁹ تكتنف التقنيات الفنية في توظيف المدينة على خلفية مهمة وهي طبيعة المكان المتعلق بالتصنيع والبناء والشارع أو المرافق المطلة على البحر وكل ما يتعلق بالحدثا وانتقالية الروائية من الريف إلى المدينة، هو نفسه التغير المكاني الذي يصاحب المتغير الذهني ومقاربة الحرية ليس فقط من المستعمر الذي أخذ الحيز الأوسع في الرواية (بوابة الذكريات) بل هو نشوء الشخصية المعاصرة وإيديولوجية الأفكار التي تطرحها في خطابات داخل النص الروائي الباذخ بالذاكرة.

3- الخطابات الثقافية المضمرة لنسق المدينة في رواية (بوابة الذكريات)

تأتي الخطابات في الرواية معبراً لإستراتيجية ترتيب الذكريات وتشخيص منابر تلك الأصوات الخافتة المعبرة عن حاجتها الطبيعية والمشروعة، كانت الكاتبة تمثل المرأة عبر أنماط حكايات تمررها زمنياً ومكانياً " الطبيعة العامة للمجتمع العربي الجزائري الذي كان يتميز إلى حد بعيد بالمحافظة وبالنظام الأدبي، حيث كان كبار السن لا يسمحون حتى بأقل درجة من التحرر من قبل الرجال العائدين من المهجر، فطبيعة المجتمع تقتضي تحكم الرجل في أمور الأسرة ، وسيطرته على المرأة، كما أن حفاظ الرجل على شرفه جعله يبالغ في التشديد على المرأة خاصة مع وجود

الأجانب الغاشمين يضاف إلى ذلك أن الفترة السابقة للاستعمار لم تكن لتعطي الحرية الكاملة للمرأة فإن كل الظروف كانت ضد الأنثى¹⁰ توليف المرأة ضمن الرواية عبر العديد من المواقف كالحياة داخل القرية بين ضغط المستعمر واستيطانيته وقيود التقاليد التي تقبض على أنفاس النساء وتحدد نمط حريتهن التي تعلقها في (الحمام) كونه حيزا للخصوصية والبعد عن نظرات المجتمع إلى مرحلة الدراسة الثانوية في المدينة أين ترسم معالم الأحياء وتغير الحايك الذي يلف الجسد ويحجزه، كما تماثلت هالة المدينة والتحضر وتغير اللباس وشكل الأفكار والقناعات أصبح للحرية اكتمال باتساع الأفق.

ثم تؤكد الكاتبة (أسيا جبار) الشكل الطبيعي المرغوب والمقبول سلوكيا في القرية "إن امرأة شابة ملفوفة تماما في الحايك من الساتان الأبيض، بحاجة إلى طفل كي تزور قريبا في الفترة ما قبل الزوال في المدينة الصغيرة" ارتباط خروج المرأة مع طفل يمارس الحماية من أطماع الناس ومحرمات كافيا يعكس انتماءها لأسرتها وخلفية الزوج الحريص والمرأة المتزنة والمحترمة أمام عيون الرجال خارج حصن منزلها.

4- فضاء المدينة والسرد في رواية (بوابة الذكريات) المؤولات: الرواية انتقال من الريف إلى المدينة وعبر التاريخ، الانتقال كان بين الزمان والمكان وكيف تتحول الذاكرة إلى محطات تستلذ فيها خطابات البادية وخصوصيتها من خلال الحفلات الأوروبية في القرية وتنصت الأهالي عليها ومراقبتها، وانتقالها مع أسرتها للمدينة وتحول مظهر الأم بأناقة أوروبية وتغير الحياة من حولها واكتشاف ثقافات بين القبول وحيرة التقبل ذاته.

التحول الذي أسقط من حولها الامتزاج بين المحاولة لإيجاد الذات الماضية وتقدير الحاضر المليء بالتحضر وبين الهوية والتقاطع مع الفكر الغربي أنساق متعددة بأبعاد المظهر والرؤية والانصهار حتى التلاشي، لكن الكاتبة ترجمة تلك التغيرات عبر خطابات "في نظر الطفلة التي كنتها في القرية الاستعمارية كانت الغرفة وأثاثها المصنوع بالأكاجو الغليظ ذي الطراز الأنيق 1920، وغرفة النوم الكاملة بسرير واسع منخفض مشتمل على إطارات عالية عند الرأس والرجل، وطاولتين صغيرتين والخزانة الهائلة ذات مرآيا كبرى جزء لا يتجزأ الأولى العديمة الشكل والغريبة"¹¹ تتمتع الكاتبة باللغة الواضحة المعالم القريبة من التحليل النفسي والبعد الفكري والتطوري السلوكي للإنسان مع تحولات الزمن والناتج الثقافي أو ازدواجيتها، كما نجد الرواية تصميم للملابس التقليدية والعادات الكلامية والمضمرات كفك السحر والعين والطلاسم، تقارن بين الترسبات الاستعمارية ومخاوفه من فقدان ذاتيته.

يُحيلُ السرد إلى حالة تصوير مستمرة للفضاء الانتقالي من الريف إلى المدينة وحاملاً مجموعة الخصائص التي تتناسب والمحكي في رواية (بوابة الذكريات) التي تُحاكي أفق التحولات ضمن رمزية القيم والمضمرات في الوعي واللاوعي، تتشكل حركية المشهد ومشهد الحركة المتنقلة بين معمارية المدن ونمطية الاختلاف في الأرياف التي يجد فيها الأب المعلم المعرب بين الفرنسيين صراع معتقد العرف وذهنية المتعلم المهيمن عليه سلطة التقدم والتحضّر فتتكون الصورة بين العديد من المتناقضات التي نضدتها الكاتبة (آسيا جبار) لتحكي خيال المتلقي "المشهد بصفته نظاماً رمزياً بمعنى يدرس الكيفية التي يتم تشكيله وفق معتقدات السكان وكذا بحسب المعاني التي يوظفونها في ذلك المشهد سنعتبر إذن المشهد نظاماً ذا دلالة يُظهر القيم التي من خلالها ينظم مجتمع ما بهذا المعنى يمكن قراءة المشاهد كنصوص توضح معتقدات الشعوب، كما يمكن اعتبار تشكيل المشهد تعبيراً عن الأيديولوجيات الاجتماعية التي يتم بعدئذ تخليدها وتدعيمها من خلال المشهد"¹²

تنعكس مشهدية المرأة في النص الروائي لتكون محور الحكيم وضمير المتكلم بين ذاكرة تستعير العديد من المحطات عبر أزمنة مختلفة حيث انبسطت الجغرافيا المكانية وتسطحت الأحداث من خلال المدن الجزائرية (البليدة) و(شرشال) والعاصمة المكونة لأنظمة العلاقات كما استطاعت من خلال الشارع أن تمنح رؤية فلسفية للأفكار التي تدور في محيطها أما الأقاليم الغربية للمدن الفرنسية التي بقيت فيها لاطمال دراستها الجامعية في باريس، حيث تجدد اللقاء بالشخصيات الماضية سلفاً في حياتها مثل (منيرة)، الكثير من التساؤلات خاضتها الكاتبة عبر فلسفتها السردية بين المحرم والقيود التي سنّها المجتمع عرفياً وتداولاً، تلك المشاعر الخفية جسدت قناعتها وقراراتها في طبيعة العلاقات بناءها أو ضرورة هدمها.

تحدث بطريقة مضمرة متوارية خلف الأسماء الأجنبية للكتاب عن تكوينها المعرفي تظهر الجانب المستر لبنية اجتماعية تمتد بين ثقافتين تظل الواحدة على الأخرى وسبب وجودها الفترات الاستعمارية التي خلفت الكثير من الجوانب ولعل المرجعيات الأدبية الفرنسية تملك التأثير والتأثر "بفضل بودلير والسيدة بلازي دون شك- هو يقين بأنه في هذه الدروس التي تستمد على السنوات الست القادمة، لن يكون هناك اختلاف رغم المظاهر، بيننا نحن (الأهليّات) (عشرون بنتاً من ضمن مئتين) من جهة والأخريات من جهة أخرى (الأوروبيّات) أي الفرنسيّات والمالطيات ولكنهن يعتبرن جميعاً من (الجهة الأخرى) لا، ليس عالماً مقسماً إلى قسمين في هذه الشرنقة التي تمثلها السنوات التي قضيتها مع أقلية البنات العربيات أو القبائليات لما أنني لم أكن أتكلم البربرية بل العربية والفرنسية"¹³ لقد منحت الروائية (آسيا جبار) حالة ارتباط

زينب لوت/ الصفحات: من 103 إلى: 112

الملتقى الوطني (الأبعاد الفنية والدرامية لفضاء المدينة في الخطاب الروائي المعاصر) جامعة الشلف- 22-23 نوفمبر 2022م

Available online at <https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/715>

بالماضي الذي يبدأ برداء أمها للحايك احتراماً لعادات القرية وكان للحمام جلسات تستهوي النساء لأنها أكثر الفضاءات حرية، تظهر صورة الأب منزعاً من ابن الجيران وهو يعلمها ركوب الدراجة وتعري سيقانها أمامه، أثارت الكاتبة صفحات عن ثثرة النساء ومكائدهن الصغيرة، المستتر في تفكيرهن، رغباتهن وأحلامهن، ثم ترعرعها بين مدن مختلفة تحكي أحداثاً وتفاصيل تميزت بالتشويق والدقة وكأنها لحظات عبور زمني استرجاعي عاشت حينها الأول ورجفتها مع علاقة مرتبكة وغير سوية، قلة النضوج جعلتها تندثر وتتلاشى، الرواية عالم يعج بالذكريات الحاملة والعالقة زمنياً ومكانياً ولفضاء المدينة خصوبة للمعالم والعوالم التاريخية والفكرية والأدبية تعكس نمو الوعي وتكوينه باللغة الساردة الموغلة في توصيف الذهن.

5- الخاتمة:

تنمو أحداث الرواية بين التحول من القرية للمدينة التي لونت تفاصيلها نمطاً استراتيجياً للزمن والمكان وقد جسدت عالم المرأة المندثر خلف الجدران وعوالم الثقافة الاجتماعية تقاليداً وأعرافها، أنماط تكتم تلك الحرية القابعة في أذهانهم الحاملة أو الممارسة خفية، لكن وجودها في المدينة أثار تلك الأسرار الدفينة والرغبات وبدأ صراع المرغوب والممنوع يثير حيز الحكيم ومزايا الشخصيات بتنوعها وأهدافها داخل الحياة.

إن الخطاب في رواية (بوابة الذكريات) لآسيا جبار نسق تركيبي للمتخيل إسقاطاً للعوالم الاستعمارية والقرية والمدينة ثم السفر للخارج وهي تتباعد في تضاريسها ومحيطها الاجتماعي لكنها في نفس الوقت متقاطعة في ترسبات الوعي الباطن للعقائد العرفية في الريف وتأثيرها على ذهنية شخصية (فاطمة) بعد انتقالها للمدينة وأثر ذكريات المراهقة على الفترة الجامعية والمهنية في باريس، حيث تصبح دائرة الصوت متعالية وصريحة وواضحة مع النضوج والإدراك ودرجة التحكم في الأحاسيس والعقل، يتضح في الرواية درجة تحكم الروائية في الزمن والمكان وربط الماضي بالحاضر تلك الانتقالية العميقة بين المعاني والخطابات الظاهرة والمضمرة.

هوامش البحث:

¹- محمد داود، المدينة في الرواية الجزائرية الفضاء القسنطيني مجلة إنسانيات العدد: 13، أفريل 2001، ص. 28.

²- عراب أحمد، سرد المدينة وثقافة السرد في الخطاب الروائي الجزائري المعاصر (شرفات بحر الشمال) نموذجاً، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب العدد الرابع (صفحة: 53-65)، 2018م، ص. 54.

زينب لوت/ الصفحات: من 103 إلى 112

الملتقى الوطني (الأبعاد الفنية والدرامية لفضاء المدينة في الخطاب الروائي المعاصر) جامعة الشلف- 22-23 نوفمبر 2022م

Available online at <https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/715>

- ³- زينب لوت، الأيقونوغرافيا دراسة الأنساق الثقافية في رواية (امرأة على قيد سراب) للروائي مصطفى بوغازي، دار خيال، الجزائر، ص.112
- ⁴- مرزاق بقطاش، دم الغزال، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2012، ص.28
- ⁵- مرزاق بقطاش، دم الغزال، ص.95
- ⁶- فاطمة زهرة شايب، الهوية الثقافية وتجليات صورة المرأة في رواية "بوابة الذكريات" لأسيا جبار: مقارنة سوسيوثقافية، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، (ص.521-534) مجلد 10، عدد 02، سنة 2021، ص.523
- ⁷- أسيا جبار، بوابة الذكريات، ص.121
- ⁸- فاطمة زهرة شايب، الهوية الثقافية وتجليات صورة المرأة في رواية "بوابة الذكريات" لأسيا جبار: مقارنة سوسيوثقافية، ص.524
- ⁹- عراب أحمد، سرد المدينة وثقافة السرد في الخطاب الروائي الجزائري المعاصر، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، العدد الرابع، 2018، ص.54
- ¹⁰- صالح مفقودة، المرأة في الرواية الجزائرية، دارالشرق، الجزائر، 2009، ص.17-18
- ¹¹- أسيا جبار، بوابة الذكريات، ص.124
- ¹²- مايك كرانغ، الجغرافيا الثقافية، ترجمة: سعيد منتاق، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، العدد: 317، يوليو 2005، ص.38
- ¹³- أسيا جبار، بوابة الذكريات، ص.139